السفارات المتبادلة

بين الدولة البيزنطية والدولة الفاطمية

في الفترة ٤١٩ -٤٤٨هـ / ١٠٢٨-١٠٥٦م

إعداد

إيمان محمود أحمد سقيو

مدرس بكلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر

السفارات المتبادلة بين الدولة البيزنطية والدولة الفاطمية في الفترة ٤١٩ -٤٤٨هـ / ١٠٢٨-١٠٥٦م

إيمان محمود أحمد سقيو

قسم التاريخ، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، الدقهلية، جمهورية مصر العربية .

البريد الإلكتروني:monna5050@yahoo.com

الملخص:

يهدف البحث إلى القاء الضوء على العلاقات السلمية بين الدولة البيزنطية والدولة الفاطمية حيث أدى ظهور الفاطميين كقوة ناشئة وتطلعهم لزعامة العالم الإسلامي وسيطرتهم على مصر ومد نفوذهم إلى بلاد الشام إلى احتكاكهم بالدولة البيزنطية الأمر الذي أدى لوجود علاقات بين الدولتين تأرجحت بين الحرب تارة، والسلم وتبادل السفارات تارة أخري. ولم تقتصر السفارات على فترات السلم فحسب، بل نجدها أيضاً في فترات الحرب، فقد أدى الاحتكاك الحربي بين الدولتين إلى إيفاد مبعوثين لعقد الهدن وفك الأسري. وقد تناول البحث السفارات المتبادلة بين الطرفين في الفترة٤١٩-٤٤٨هـ/١٠٢٨-١٠٥٦م بعد انقطاع دام أكثر من عشرين عامًا وقبل أن تتوقف مرة أخرى بعد عام ٤٤٨هـ/١٠٥٦م ولقد اتبعت الدراسة المنهج التاريخي القائم على النقد والمقابلة والتحقق وربط السبب بالنتيجة وتفسير الواقعة والحدث التاريخي وقد توصلت الدراسة الي معرفة العلاقات السلمية بين الدولتين البيزنطية والفاطمية وأسباب توقفها في بعض الأحيان ومدى نجاح السفارات تارة واخفاقها تارة أخرى تبعا للظروف الداخلية والخارجية لكلا الدولتين .

الكلمات المفتاحية: الدولة البيزنطية، الدولة الفاطمية، العلاقات البيزنطية الفاطمية، السفارات، الهدايا.

Mutual Embassies between the Byzantine state and Fatimid state

Eman Mahmoud Ahmed Sekew
Department of History, faculty of Humanities ,Al-Azhar University , Al Dakahlia ,Egypt.
E-mail : monna5050@yahoo.com

Abstract:
The research aims to shed light on the peaceful relations between the Byzantine state and the Fatimid state. The emergence of the Fatimids as an emerging force aspiring to dominate for the leadership of Islamic world, control over Egypt and the extension of their influence to the Levant which led to the friction with the Byzantine state, which led to the existence of the relations between the two States that's fluctuated between war, peace, and the exchange of Embassies. Embassies presence were not limited to periods of peace only but were exchanged during period of war. The war friction between the two States led to reach a truce or release war prisoners. The research addressed the mutual Embassies between the two parties in the period 1028-1056AD\419-448 AH after a break of more than twenty years and before they stopped again during the period past 1056 AD/448AH. The study adopted the historical approach of the criticism, comparison verification, cause to result linkage and the interpretation of historical events the study recognized the peaceful relations between the Byzantine and Fatimid states how far the mutual embassies succeeded or failed based on the domestic and foreign situations of each state.

Keywords: Byzantine state, Fatimid state, Byzantine Fatimid Relations,
embassies gifts.

المقدمـــة

تعالج هذه الدراســـة الســـفارات المتبادلة بين الدولتين البيزنطية والفاطمية وخاصة في عصر الأسرة المقدونية[١] لطلب صلح أو عقد معاهدة أو فداء أسرى أو تبادل هدايا.

وقد حرصت الأسرة المقدونية على إرسال العديد من الرسل والسفراء إلى الدولة الفاطمية منذ نشـــأتها، وقد نظرت الدولة البيزنطية بعين الرضـــا للدولة الفاطمية الناشئة للتنافر بينها وبين الدولة العباسية.

وقدم الكثير من الرسـل والسـفراء البيزنطيين إلى القاهرة؛ حيث كان يتم التفاوض على العديد من الموضـوعات ولم تذهب سـفارة من القاهرة إلى القســـطنطينية الافي عام (٣٩١هـ/١٠٠٠م) واســـتمر بعدها توافد الرســـل والســـفراء إلى الدولة البيزنطية ولم ينقطع تبادل الســـفارات الا في فترات محدودة وسرعان ما تستأنف مرة أخرى.

---

(١)وقد اعتمدت الدولة الفاطمية على مبدأ الإمامة وهي خلافة مذهبية اختص بها المذهب الشيعي وخاصة المذهب الإسماعيلي وهم القائلون بإمامة جعفر بن اسماعيل الصادق وقد انتقلت منه إلى ابناءه حتى وصلت للخلفاء الفاطميين، وسموا أنفسهم بالفاطميين تمييزاً لهم عن ابناء على بن أبي طالب رضي الله عنه من أم غير فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.

للمزيد عن الدولة الفاطمية ومذهبها أنظر: القلقشندي أبوالعباس شهاب الدين بن على الشافعي ت٨٢١هـ/١٤١٨م، صبح الأعشى، القاهرة، ١٩١٩م، ج١٣، ص٢٣٥-٢٣٦، جمال سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٥م.

Farhad, D. The Ismailis their History and Doctrines, Cambridge, 1992.

الدراسات السابقة:

تطرقت بعض الدراسات للعلاقات بين الدولتين وفيما يلي عرض لبعض تلك الدراسات:

-آمال حامد زيان، سفارة الإمبراطور البيزنطي باسل الثاني إلى الخليفة الفاطمي العزيز بالله عام٣٧٧هـ/٩٨٨م مجلة هرميس، جامعة القاهرة، المجلد السادس، العدد الأول، ٢٠١٧م.

وقد اقتصرت على سفارة واحدة بين الدولتين نجحت في عقد اتفاقية بينهما وافق فيها الإمبراطور البيزنطي على شروط قاسية نظراً لانشغاله بحروبه مع البلغار، ولكن سرعان ما عادت العلاقات العدائية بينهما مرة أخري، واختلف البحث عنها في تناوله العديد من السفارات التي جاءت وذهبت من وإلى القسطنطينية.

-زكية عبدالسلام الراجحي، العلاقات الثقافية بين الدولتين البيزنطية والفاطمية خلال الفترة ٣٠٥-٤٤٨هـ/٩١٧-١٠٥٦م، منشورات قاريونس، ٢٠٠٨م.

وقد تناولت الدراسة العلاقات الثقافية بين الدولتين البيزنطية والفاطمية، والجوانب الدينية والاحتفالات الدينية الإسلامية والمسيحية في الدولة الفاطمية.

ولم تتعرض الدراسة السابقة لفترات السلم ولا الحرب بين الدولتين لكن هذه الدراسة التي بين أيدينا تناولت العلاقات السلمية التي اشتملت على السفارات وتبادل الهدايا.

ومن الجدير بالذكر أن المصادر ذات الصلة بموضوعنا لم تتحدث

بصورة مفصلة عن تلك السفارات، بل اقتصرت على الإشارة بصورة موجزة إلى بعض السفارات دون أخرى، وفي فترة معينة دون أخرى.

ويتضح من خلال الدراسة أن العلاقات بين الدولتين مرت بمرحلتين: المرحلة الأولى مرحلة العداء وإعلان الحروب والمرحلة الثانية مرحلة السلم وتبادل الرسل والمراسلات متأثرة في ذلك بما يحيط بالدولتين من أحداث داخلية أو خارجية.

ولم يتسم عصر إمبراطور بيزنطي او خليفة فاطمي بالحرب فقط او بالسلم فقط، ولكن تباينت سياستهم بين الحرب والسلم على حسب ما اقتضته الظروف المحيطة بكلا الدولتين.

أهداف البحث:

هدفت الدراسة إلى بحث السفارات المتبادلة بين الدولتين البيزنطية والفاطمية في الفترة (٤١٩-٤٤٨هـ/١٠٢٨-١٠٥٦م).

وحاولت التركيز على الأسباب الموجبة لإرسال السفراء، ومدي استقبالهم من قبل الطرفين وما الهدف الذي أراد كلاً منهما تحقيقه من خلال تلك السفارات، ومدي النجاح أو الإخفاق الذي منيت به العديد من السفارات، والشروط الواجب توافرها في السفراء.

منهج البحث:

اعتمدت الدراســـة على المنهج التاريخي القائم على النقد والمقابلة والتحقق وربط السبب بالنتيجة وتفسير الواقعة والحدث التاريخي وتحليلها بعد اثباتها عن طريق مصادرها الأصلية، وقد تم جمع المادة العلمية التي تخص البحث والمتواجدة في المصـــادر والمراجع المتعلقة بالعلاقات البيزنطية والفاطمية ودراستها وتحليلها والمقارنة بينهما ثم إخراجها بطريقة تفيد إيضاح العلاقات السلمية بين الدولتين بصفة عامة، وإيضــاح السـفارات المتبادلة بينهما بصفة خاصة.

تعتبر السفارات واحدة من أهم صور العلاقات الدبلوماسية بين الدول.

وقد سارت الدبلوماسية البيزنطية جنباً إلى جنب مع القوة العسكرية في خطين متوازيين يعملان معاً، قد يسـبق أحدهما الآخر احياناً، وكثيراً ما عوضـت الدبلوماسـية النقص الذي كان يعتري القوة العسـكرية في معظم الأزمات، ذلك أن الحدود الطويلة والتهديدات المسـتمرة من جانب اعدائها لم تسمح لإدارة الخارجية البيزنطية إلا بوقت قصير تسترد فيه أنفاسها، ومن ثم كانت الدبلوماسية سلاح بيزنطة التقليدي المحبب إليها ولاسيما في عصر الأســـرة المقدونية (٢٥٣ –٣٤٨هـ/٨٦٧–١٠٥٦م) وقد بلغ من اهتمام اباطرتها بجيرانهم من الشعوب المجاورة أن قام الإمبراطور قسطنطين السابع Constantine VII ٣٠١–٣٤٨هـ/٩١٣–٩٥٩م)[١] بتأليف كتاب "يصف

(١) الأسرة المقدونية: تنسب للإمبراطور البيزنطي باسل الأول المقدوني أسسها عام ٢٥٣هـ/ ٨٧٦م وهي أطول الأسر بقاءً في التاريخ البيزنطي واتسم عهدها بالتوسع الخارجي والازدهار الثقافي.

=

فيه الشـــعوب المجاورة وطبائعهم، وكيفية التعامل معهم"، وكان هذا الكتاب موجهًا لابنه رومانوس (الثاني) Romanos II ٣٤٨ – ٣٥٢هـ/ ٩٥٩ – ٩٦٣م) الذي سيرث العرش الإمبراطوري(١).

كما قام الإمبراطور بـــــتأليف كتاب عن الثغور (الثيمات) De Thematibus(٢) الذي تم تأليفه عام ٣٢٣هـ/٩٣٤م، ويعتبر سجلاً للولايات

=See Leo the Deacon, The History of Leo the Deacon Byzantine military in the tenth century in DOR, trans Talbot, Washington, 2005, P.1.

قسطنطين السابع: هو الأبن الوحيد للإمبراطور ليو السادس Leo VI من رابع زوجاته زوي Zoe وكان قسطنطين مولعاً بالاطلاع على الكتب وكان رجل معرفه وإطلاع أكثر مما هو رجل سياسة. دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ترجمة حسن حبشي القاهرة، ٢٠٠٣م صـ١٣٥، ١٣٧، قيل عنه أيضاً أنه أول من استهل عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب.

See Skylitzes, J. Asynopsis of Byzantine History 811-1057 trans, Wortley, J Cambridge, 2010 PP-191ff.

صابر دياب، المسلمون وجهادهم ضد الروم، القاهرة ١٩٤٨م، ص١٠٦.

(١) قسطنطين السابع، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة محمود سعيد عمران، بيروت دار النهضة العربية، ١٩٨٠م، ص٤١.

رومانوس الثاني: هو ابن الإمبراطور قنسطنطين السابع وكان قوي الجانب واعتلى العرش عام٣٤٨هـ/ ٩٥٩م بعد وفاة والده وتوفي عام٣٥٢هـ/ ٩٦٣م تاركاً زوجته ثيوفانو وولديه الصغيرين باسيل الثاني وقسطنطين الثامن. دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص١١٩.

للمزيد عن رومانوس الثاني أنظر:

Skylitzes, Asynopsis, P.239 ff.

(٢) عن كتاب الثيمات أنظر:

See Constantine VII, De Thematibus. Trans Pettusi. Biblioteca, Vaticana, 1952.

البيزنطية وحدودها وســـكانها، ويأتي هذا الكتاب في مقدمة المصـــادر البيزنطية المهمة التي اهتمت بنظام الثغور[١].

ويعتبر الســفراء النخبة المثقفة في الدولة ولأهمية الســفراء كان لابد أن يتم اختيار السفير بدقة وعناية فائقة:

ضوابط اختيار السفراء:

فلابد أن يكون الســـفير موثوقاً به لدى الملك الذي ينتدبه للحديث باسمه في الخارج[٢] وهذا الشرط يفسر لنا اختيار سفير دون غيره من بين الكثيرين الذين تتوافر فيهم نفس الشروط وكذلك يتم اختيار السفير الذي لديه قدرة على النقاش والمهارة في إدارة المناقشـــات المعقدة كالتفاوض بشـــأن الأسرى، وترسيم الحدود[٣].

ولابد أن يكون السفير على إلمام ودراسة بكل جوانب المهمة المنوط

(1) Treagold, A History of the Byzantine state and society, stand ford, California, 1997, P.563

جوزيف نسيم، تاريخ الدولة البيزنطية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٨، ص١٥٤، أسمت غنيم، الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، جدة، دار المجمع العلمي، ١٩٧٧م، ص١٢.

كما قام والده الإمبراطور ليو السادس بتأليف كتاب عن أعداء الإمبراطورية وطرق التغلب عليهم.

عنه أنظر: Leo VI, The Taktika of Leo VI, trans Dennis in DOT, 1997.

(2) Nicolas, D. Arabic-speaking Ambassadors Byzantine Empire from the ninth to Eleventh Centuries in Ambassadors, Artists, Theologains Byzantine relations with the near east from the ninth to the Thirleen centuries Mainz, 2019, PP. 57-69, P.64.

(3) Nicolas, Arabic – Speaking, P.65.

بها، فعلى سبيل المثال عندما يتم التفاوض على مناطق معينة كالمناطق الحدودية مثلاً يجب اختيار السفير من أبناء هذه المناطق، خاصة عندما يكون من النخبة السياسية والعسكرية(١).

كذلك لابد أن يتحلى السفير بالخبرة القانونية عند التفاوض والتوقيع على المعاهدة(٢) ولا يمكن اغفال المهارات اللغوية التي يجب أن يتحلى بها السفراء، فقد اشتمل البلاط الإمبراطوري في القسطنطينية على مراجعين ومترجمين فوريين لقبوا بـ Recerund(٣).

وكان إجادة اللغة اليونانية بالتأكيد معياراً وشرطاً آخر في اختيار الحكام المسلمين للسفراء(٤)، وهذا ما يفسر لنا إن أغلب السفراء كانوا من قاطني المناطق الحدودية لتمتعهم بثنائية اللغة التي كانت حقيقة واقعية في تلك المناطق(٥)، وذلك بسبب مجاورتهم للدولة البيزنطية وخضوعهم للحكم البيزنطي في بعض الأحيان.

الجهات الرسمية المسئولة عن إرسال واستقبال السفراء في الدولتين:

في الدولة الفاطمية كان هناك ديوان يسمي ديوان الرسائل يختص بالمكاتبات مع الملوك وغيرهم من رؤساء الدول المجاورة للمسلمين، واهتمت مصر ولاسيما في العهد الفاطمي بهذا الديوان الذي عرف باسم ديوان

(1) Nicolas, Arabic – speaking, P.69.

(2) Nicolas, Arabic – speaking, P.69.

(3) Ann, R. Christians in AL-Andualus 711- 1000, London, 2013, P.108.

(4) Nicolas, Arabic – speaking, P.60.

(5) Nicolas, Arabic – speaking, P.60.

الإنشاء "وصرفوا مزيد عنايتهم به وبكتابه فارتفع بهم قدره"[١]؛ إما في الدولة البيزنطية فقد كان طبيعيا أن تحظى إدارة الخارجية البيزنطية برعاية تفوق بقية الإدارات الأخرى في الجهاز الحكومي في الدولة ففي القرن الخامس الميلادي تم انشاء جهاز إدارة شؤون البرابرة تركزت مهامه حول مراقبة الأجانب المقيمين في العاصمة، أو الوافدين إليها والاهتمام بالسفارات الخارجية القادمة إلى القسطنطينية، وقد ظل هذا الجهاز قائماً حتى القرن الحادي عشر الميلادي/الخامس الهجري[٢] والشروط السابقة توافرت في السفراء البيزنطيين والفاطميين على السواء وانفرد السفراء الممثلين للخليفة الفاطمي او للإدارة الفاطمية ببعض الضوابط والمعايير منها معياراً لا يجب إغفاله وهو ان اغلب من كان يرسل منهم إلى الدولة البيزنطية مسيحيين ملكيين[٣].

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ط١٩٢٢، ج١، ص٩٦، إبراهيم أحمد العدوي، السفراء العرب إلى أوربا في العصور الوسطي، مجلة المجلة، العدد الثاني والثلاثون، ١٩٥٩م، ص٣.

(٢) رأفت عبدالحميد، قواعد الدبلوماسية البيزنطية، ص٤٤.

أطلق لفظ برابره على كل الشعوب الخارجة عن نطاق الإمبراطورية لبيزنطية السياسي وسلطانهم الحضاري.

رأفت عبدالحميد، قواعد الدبلوماسية، ص٤٤، ص٤٥.

(٣)المذهب الملكاني: هو المذهب القائل ان للمسيح طبيعتين طبيعة إلهية وطبيعة بشرية وهو مذهب كنيسة القسطنطينية، وقد اختلف عن المذهب المنوفيزيقي وهو مذهب الطبيعة الواحدة وان للمسيح طبيعة واحدة وهو مذهب أهل مصر وقد أقر مجمع خلقيدونية مذهب الطبيعتين وأنكر المجمع مذهب الطبيعة الواحدة.

=

على سـبيل المثال القديس أرسـتوس Orestes ثم البطريرك نقفور Nikephoros اللذين كانا مبعوثين للدولة الفاطمية في النصـف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي(١).

ولابد أن يتحلى السفراء بالأمانة والحلم والصبر "فالسفير هو الرسول والمصـلح بين القوم"(٢) ولابد ان يكون حسـن المظهر فالسـفير واجهة لدولته

=أنظر حنانيا الياس كساب، مجموعة الشرع الكنسية المسيحية الجامعة، لبنان، منشورات النور، ١٩٨٨م، ص٣٦٤-٣٦٥.

والهدف من وراء إرسال سفراء ملكيين هو تقريب وجهات النظر وسهولة التفاهم لأن بيزنطة تدين بالمذهب الملكاني.

(1) Nicolas, Arabic – Speaking, P.60.

أرستوس: ويكتب أرسطيس هو بطريرك بيت المقدس في الفترة من ٣٤٧-٣٩٦هـ/٩٨٤-١٠٠٥ فانتدبه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ليرافق السفير لإبرام الهدنة، وقد تمكن من عقد معاهدة بين الخلفية الحاكم بأمر الله والإمبراطور البيزنطي باسل (لثاني) لمدة عشر سنوات. وأقام بالقسطنطينية أربع سنوات وتوفي بها.

أنظر الأنطاكي: يحي بن سعيد ت ٤٨٥هـ/ ١٠٦٧م تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة أوتيخا، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، طرابلس- لبنان، جرس بروس ١٩٩٠/ صـ٢٤٨، سليمان الرحيلي، السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية، الرياض، ١٤١٤هـ، ص١٨٩ حاشية (٢).

البطريرك نقفور: تولي بطريركية بيت المقدس عام ٤١١هـ/١٠٢٠م في خلافة الحاكم بأمر الله وهو قس رومي كان يخدم في قصر الحاكم بأمر الله في رسم النجارة، توسل إلى الحاكم أن يوليه بطريركية بيت المقدس فأجابه لملتمسه وعينه عام ٤١١/هـ١٠٢٠م، وكان مبعوث ست الملك أخت الحاكم بأمر الله وعمه الظاهر لإعزاز دين الله وهي التي أدارت شؤون الحكم في بداية عهد الظاهر، الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص٣٥٣، الرحيلي، السفارات، ص١٩٣.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص١٥، الرحيلي، السفارات، ص٣٢.

ولابد أن تكون هيئته لائقة من جميع الوجوه[١]، كما حرص الخلفاء الفاطميين أن يتحلى السفير بحسن الخُلق وأن يكون على درجة كبيرة من نفاذ الرأي وحصافة العقل تجعله يستنبط غوامض الأمور[٢] ومن الجدير بالذكر أن تعليمات إدارة الخارجية البيزنطية كانت صريحة بضرورة عدم السماح للسفراء بالتجول في المدينة بمفردهم دون حرس أو وفد مرافق وغير مسموح لهم الاطلاع على شيء مما ترغب الحكومة في إخفائه[٣]، وقد تبادلت الدولة البيزنطية والدولة الفاطمية الرسل والسفراء منذ نشأة الدولة الفاطمية.

وقد توقفت السفارات بين الجانبين في الفترة الأخيرة من حكم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) بسبب سياسة الحاكم تجاه أهل الذمة في مصر وباقي ولايات الدولة الفاطمية فقد فرض

(١) الرحيلي، السفارات، ص٣٠.

(٢) العدوي، السفراء العرب، ص٣٣.

(٣) رأفت عبدالحميد، قواعد الدبلوماسية، ص٥٧.

ولذلك وضعت الدولة مجموعة من الخدم تحت تصرفهم تتحصر مهمتهم الرئيسية في الحصول على أي نوع من المعلومات عن الوفد المرافق للسفير، رأفت عبدالحميد، قواعد الدبلوماسية، ص٥٨.

عليهم الكثير من القيود والضـوابط[١] كما هدم العديد من الكنائس[٢] واسـتولي على محتوياتها، وفرض عليهم ضـــوابط للباس والهيئة حتى يتم تميزهم من بين الســـكان وتبع ذلك تحول كثير من النصـــارى واليهود عن اديانهم مكرهين[٣].

الأمر الذي أدى إلى توتر العلاقة بين الدولتين وخاصـة بعدما نقض الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الهدنة المبرمة بينه وبين البيزنطيين عام ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م وانقطع الاتصـــال بين البيزنطيين والفاطميين حتى وفاة

---

(١) محمد سالم الطراونة وسحر عبدالمجيد المجالي، أحوال أهل الذمة في مصر في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي ٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٦م، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد السادس والثلاثون ملحق٢٠٠٩، ص٧٩٦.

الحاكم بأمر الله: هو أبوعلى منصور بن العزيز بالله بن المعز بالله الفاطمي، ثالث خلفاء مصر من بني عبيد ولد عام ٣٧٥هـ، تولي الخلافة عام ٣٨٦هـ وفُقد عام أحدي عشرة وأربعمائة ٤١١هـ/١٠٢٠م وخلفه في الحكم ابنه الظاهر لإعزاز دين الله.

للمزيد أنظر المقريزي، تقي الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٩٦م، ج٢، ص٣، إلى ص١٢٣، ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٩٦٣م نسخه مصورة عن طبعة دار الكتب، ج٤، ص١٧٦-١٧٧.

وعرف في المصادر اليونانية بلقب عزيزيوس Azizos- see skylitzes, Asynopsis, P.365

وهذه السياسة تجاه اهل الذمة انفرد بها الحاكم بأمر الله دون غيره من خلفاء الدولة الفاطمية، فعندما تولي الحكم ابنه الظاهر سمح للنصارى ببناء وتجديد كنائسهم.

عن القيود التي فرضها الحاكم على أهل الذمة: أنظر ملحق رقم (٢)

(2) Skylitzes, Asynopsis, P.365

(٣) الطروانة، أحوال أهل الذمة في مصر، ص٧٩٦.

الحاكم بأمر الله عام٤١١هـ/ ١٠٢٠م[١].

ولكن بعد وفاة الحاكم أرادت أخته ست الملك التي أشرفت على إدارة شئون الدولة في السنوات الأولي من حكم الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م) تحسين العلاقات بين الدولتين فأوفدت سنة ٤١٣ هـ/١٠٢٢م البطريرك نقفور سفيراً إلى الدولة البيزنطية لعقد أواصر الصداقة والتفاهم بين الدولتين، "وليخبره(الإمبراطور) بالإجراءات التي اتخذت لرفع القيود التي فرضت على النصارى وتجديد كنيسة القيامة"، ولم تنجح هذه السفارة في عقد أي اتفاقية لوفاة ست الملك في هذه الأثناء[٢].

ولكنها مهدت الطريق لنجاح الفاطميين في عقد هدنة جديدة فعاد الاتصال بين الدولتين واستأنفت المفاوضات بين الإمبراطور رومانوس الثالث RomanosIII (٤١٩-٤٢٥هـ/١٠٢٨-١٠٣٤م) والظاهر لتوقيع اتفاقية

---

(١) الرحيلي، السفارات، ص١٩١-١٩٢.

(٢) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص٢٤٣-٢٤٤، الرحيلي، السفارات، ص١٩٣.

الظاهر لإعزاز دين الله: أبوالحسن على الظاهر العبيدي صاحب مصر والشام وهو ابن الحكم بأمر الله جلس بمصر بعد غياب الحاكم بالمقطم عام ٤١١هـ/١٠٢٠م وعمره سبع سنين ومات في سنة ست وعشرين وأربعمائة وبقي له الأمر خمسة عشر سنة وتسعة أشهر. أنظر ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد الدمشقي ت٨٤٢هـ/١٠٨٩م، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عماد الأرناؤوط، دمشق، بيروت، دار بن كثير، ١٩٨٩، ج٥، ص١٢٩، العظيمي، محمد بن على الحلبي، ت ٥٥٦هـ/ ١١٦١م، تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعرور دمشق، ١٩٨٤م، ص٣٤٠، ابن الجوزي، أبي الفرج عبدالرحمن بن على ت٥٩٧ هـ/١٢٠١م، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق عبدالقادر عطا، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية ١٩٩٢م، جـ١٥، ص٢٥٥.

بين الدولتين "وأرسل الخليفة الظاهر رسولين إلى انطاكية للتفاوض مع واليها البيزنطي"[١] واشترط رومانوس لتوقيع الاتفاقية عدة شروط اولهما: أن يعمر الملك كنيسة القيامة ببيت المقدس ويجددها من ماله، ويصيَّر بطريركًا على بيت المقدس[٢] هذا الشرط يدل على رغبة الدولة البيزنطية في إثبات تبعية كنيسة بيت المقدس لها.

كما اشترط الإمبراطور أن "يعمر النصارى جميع الكنائس الخراب التي في بلاد الظاهر سوى ما كان منها قد عمل مسجداً"[٣] وهذا خلافا لسياسة والده الحاكم.

والشرط الثاني: متعلقا بسيادة الدولة الفاطمية على حلب فقد نص على: "أن لا يتعرض الظاهر لحلب، ولا يروم هو ولا أحد من ذوي طاعتها لقتالها، ولا التعرض لها بمكروه، أذ هي بلد قد تقرر عليه إتاوة، ويحصل إليه في كل سنة مال الهدنة".

ونص الشرط الثالث على: "أن لا يساعد الظاهر صاحب صقلية

---

(١) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص٤٣٥-٤٣٦، السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٦٥صـ٧٨٥.

رومانوس الثالث: ٤١٩-٤٢٥هـ/١٠٢٨-١٠٣٤م خلف قسطنطين الثامن على العرش، تقلد منصب رفيع المستوي في المدينة بزواجه من ابنه قسطنطين الثامن زوي وأصبح ذو صلة بالأسرة المقدونية وهزم في حلب عام ٤٢١هـ/١٠٣٠م، تأمرت زوجته زوي وأخرين على اغراقه عام ٤٢٥هـ/١٠٣٤م.

Rosser, Historical Dictionary of Byzantium; Virgil Geogics P.344.

(٢) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص ٤٣٦-٤٣٧.

(٣) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص ٤٣٦.

على محاربته للروم"[١]، وهذا الشـــرط الأخير بســـبب غارة بحرية قام بها المسلمون من صقليه وتونس عام ٤١٨هـ/١٠٢٧م هاجمت جزائر الأرخبيل ونهبتها، فأراد الإمبراطور البيزنطي أن يتهيأ لـه من القوة ما ينتقم بـه من مسلمي صقلية دون أن يعترضه الأسطول الفاطمي[٢]".

وحصـــل الخليفة الفاطمي مقابل ذلك على أطلاق ســـراح الأســـرى المأخوذين بحكم الحرب في أيامه من بلاد الإسـلام عوضـا عن بناء كنيسـة القيامة"[٣].

وأن تقام الخطبة في جامع القســـطنطينية[٤] للخليفة الفاطمي دون ســـواه، وإعادة ترميم جامع القســـطنطينية واصـــلاحه وتزيينه، والا يقدم الإمبراطور أية مســاعدة لحســان بن مفرج بن الجراح صــاحب الرملة الذي

---

(١) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي صـ ٤٣٧.

صاحب صقلية: أحمد الثاني الأكحل (٤١٠-٤١٧هـ/١٠٢٠-١٠٢٦م) الملقب بأسد الدولة الكلبي القضاعي تاسع أمراء الكلبيين أصحاب صقلية، تمكن من صد الغزو النورماندي عام٤١٦هـ/ ١٠٢٥م، هو اخر من سمي أحمد من أمراء الدولة الكلبية. أنظر فؤاد صالح السيد، معجم القاب السياسيين في التاريخ العربي الإسلامي، ٢٠١١م، ص٤٥.

(٢) العريني، الدولة البيزنطية، ص٧٨٦.

الأرخبيل: لفظ غير عربي اجازه مجمع اللغة العربية يقصد به مجموعة الجزر المتقاربة. مصطفى عبدالكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦، ص٢٣.

(٣) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص٤٣٧.

(٤) جامع القسطنطينية: كان يلعب دوراً سياسيًا بجانبه دوره الديني في العاصمة فقد كان شاهد مباشرًا على تغيير الولاء السياسي المرتبط بخطبة الجمعة.

Nicolas, Arabic-speaking, P.62.

خرج على الخليفة الفاطمي، وأن يسحب طلبه الخاص بالاستعاضة عن شيرز بأفامية[١].

"وقبل الظاهر ما شرطه الملك من بناء كنيسة القيامة ومن تجديد النصارى بقية الكنائس سوى ما كان منها قد عمل مسجدًا، ويكون إطلاق الأسري المأخوذين في أيام رومانوس (الثالث) عوضًا عن ذلك".

"كما قبل ترك النجدة والمعونة لصاحب صقليه وغيره ممن يحارب مملكة الروم"[٢] إذا وافق رومانوس أن يفعل معه مثله[٣].

وتعهد الخليفة الظاهر بالسماح لمن اظهر الإسلام من النصارى في عهد الحاكم بأمر الله بالعودة إلى نصرانيتهم[٤]، كما أعاد ما كان يفعله النصارى في ليلة الغطاس ويطلق عليها ليلة الوقيد، وكان جده المعز الفاطمي(٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م) أبطل ذلك في أيامه[٥].

---

(١) سامي مرعي، الصراع الفاطمي – البيزنطي على ساحل بلاد الشام في القرنيين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين ٣٥٨-٤٤٧هـ/٩٦٩-١٠٥٥م، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد الأربعون (٤٠) العدد السابق، ٢٠١٨م، صـ ٢٢١، سرور، الدولة الفاطمية، ص٣٧٥.

(٢) الأنطاكي، تاريخ "الأنطاكي، صـ٤٣٧.

(٣) العربني، الدولة البيزنطية/ صـ٧٨٧.

(٤) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص٤٣٧.

(٥) ابن اياس، محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م، بدائع الزهور في وقائع الدهور تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٨٤م. ج١، القسم الأول، ص٢١٢.

من مظاهر الاحتفال في ذلك اليوم يجتمع المسلمون والنصارى عند شاطئ النيل قبالة المقياس فتنصب هناك الخيام من جانبي النيل، وتوضع فيه الأسرة لأعيان القبط =

وهكذا نجد التوافق والاتفاق بين الطرفين وكادت المعاهدة أن تكتمل لولا رفض الخليفة الظاهر الشـــرط الخاص بحلب "فلم يجب إلى الشـــرط المشـتمل على ذكر حلب، واحتج عليه بأنها ثغر جليل من ثغور المسـلمين لا ينبغي أن يكون في حوزة الروم(١)".

=ويمتلئ البحر بالمراكب من سائر المسلمين والنصارى، وعندما يدخل الليل تزين المراكب بالقناديل والشموع فكان يوقد في تلك الليلة أكثر من ألف مشعل وألف فانوس وتتجاهر الناس بشرب الخمور، ويغطس كثير منهم في تلك الليلة ويزعمون ان من يغطس في تلك الليلة لا يضعف في تلك السنة.

للمزيد أنظر الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص٢٨١، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ص٢١٢–صـ٢١٣.

لكن الظاهر نادي بأن لا يختلط النصارى مع المسلمين عند الغطاس.

أنظر، ابن اياس، بدائع الزهور، ص٢١٣.

(١) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص٤٣٧.

المعز لدين الله الفاطمي: هو أبوتميم معد بن المنصور بن إسماعيل بن القائم بآمر الله محمد بن المهدي عبيدالله الفاطمي، تنسب إليه القاهرة المعزية ولد بالمهدية ٣١٩هـ، بويع بالخلافة ٣٤١/٩٥٢م.ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٦٩ وما بعدها.

رفض الخليفة الظاهر الشرط الخاص بحلب: يتفق مع سياسة الدولة الفاطمية التي استهدفت السيطرة على العالم الإسلامي، واسقاط الخلافة العباسية وشكلت حلب طريقًا طبيعيا إلى العراق (مقر الخلافة العباسية) كما أن حلب مهمة لحكام مصر لحماية حدود مصر الشمالية الشرقية كما ان حلب هي طريق للاستيلاء على القسطنطينية، كما ذكر سعيد الدولة الحمداني في إحدى رسائله إلى البيزنطيين يستنجد بهم قائلا: "متي اخذت حلب أخذت انطاكية ومتي أخذت أنطاكية أخذت القسطنطينية "، أنظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٢٠، محمد سهيل طقوش، تاريخ الطولونيون والاخشيدين والحمدانيين، بيروت – لبنان – دار النفائس ٢٠٠٨م/ صـ٣٢٢.

وطلب اغفال ذكرها فيما تعقد عليه الهدنة[١] وما كان من الإمبراطور رومانوس إلا التمسك بهذا الشرط "وجزم إلا تعقد الهدنة إلا عليه"[٢] "الأمر الذى أبطأ إبرام الهدنة"[٣].

وترددت المكاتبات بين الدولتين في هذا المعني أيام رومانوس وزمن ميخائيل الرابع (٤٢٥-٤٣٣هـ/١٠٣٤-١٠٤١م) ثلاث سنوات ونصف، حتى استقر الأمر أخيرًا[٤] وتم توقيع المعاهدة.

والسبب في سعي الدولتين لطلب الصلح هو الأحداث السياسية الداخلية والخارجية لكلا الدولتين فالدولة الفاطمية واجهت الكثير من حركات

---

(١) العريني، الدولة البيزنطية، ص٧٨٧.

(٢) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، صـ ٤٣٨.

(٣) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، صـ ٤٣٨.

(٤) العريني، الدولة البيزنطية، ص٧٨٧.

قال المقريزي في حوادث سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م، وفيها انعقدت الهدنة: بين الظاهر وبين ميخائيل ملك الروم عشر سنين متوالية، وهو نفس العام الذي توفي فيه الخليفة الظاهر. أنظر المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٨٢.

لم يذكر الأنطاكي هدنه ٤٢٧هـ/١٠٣٥م بين الظاهر وميخائيل لأنه أنهي تاريخه عام ٤٢٥هـ/ ١٠٣٤م.

الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص٤٣٨ حاشية (٣)

ميخائيل الرابع (البافلاجوني) ٤٢٥-٤٣٣هـ/ ١٠٣٤ – ١٠٤١م تمكن من الوصول للعرش بمساعدة أخيه يوجنا John وعشيقته زوي Zoe اللذين تأمرا على قتل رومانوس الثالث Romans III ظل في الحكم عام٤٣٣هـ/١٠٤١م ولكن ضعف عند القيام بشئون الحكم فترك مقاليد الحكم لأبن أخيه الذي اعتلي العرض تحت اسم ميخائيل الخامس٤٣٣-٤٣٤هـ/ ١٠٤١-١٠٤٢م

See skylitzes, Asynopsis, 370 Rosser, Historiral dictionary, P.272.

التمرد على رأسها حركة التمرد الشامية فبمقتضي توقيع المعاهدة تمكن الخليفة الظاهر من تجهيز حملة لإعادة سلطة الفاطميين على بلاد الشام(١).

أما الدولة البيزنطية فبعد وفاة الإمبراطور باسل الثاني Basil II ٣٦٦-٤١٦هـ/٩٧٦-١٠٢٥م) دخلت في حالة من التدهور امتدت حتى سنة (٤٧٤هـ/١٠٨١م)(٢)، كما تعرضت أراضيها لهجمات العرب(٣).

وقد استأنفت المفاوضات أثناء حكم الإمبراطور ميخائيل الرابع ٤٢٥-٤٣٣م/١٠٣٤-١٠٤١م)(٤).

وللضغط على البلاط البيزنطي لتوقيع الاتفاقية "شرع الظاهر سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٤م في بناء سور مدينة القدس الشريف" بعد بناء سور الرملة، وخرّب المتولون لعمله كنائس كثيرة في ظاهر المدينة، وأخذت حجارتها"(٥)،

---

(١) سامي مرعي، الصراع الفاطمي – البيزنطي، ص٢٢١.

(٢) سامي مرعي، الصراع الفاطمي – البيزنطي، ص٢٢١ حاشية (٥)

ويدل على ذلك تعاقب الأباطرة وسرعه تغييرهم، أنظر ملحق رقم (١).

باسل الثاني: هو ابن الإمبراطور رومانوس، وعندما توفي يوحنا تزيمسكس الوصي على باسيل وأخيه قنسطنطين الذي أصبح فيما بعد قسطنطين الثامن Constantin VIII كان باسل في الثامنة عشرة من عمره وأخيه أصغر منه بعامين وتوجا في عهد والدهما وقد كان باسيل إمبراطور قوي تمكن من تحقيق العديد من الانتصارات وأطلق عليه سفاح البلغار.

See Psellus, m. Fourteen Byzantine Rulers the Chronographia of Michael Psellus trans Sewter, Penguim books, 1966, P.P.27-28, Rosser, Historical dictionary P.49.

(٣) العريني، الدولة البيزنطية، ٧٨٤.

(٤) العريني، الدولة البيزنطية، ص٧٨٧، ص٧٨٨.

(٥) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص٤٣٩.

كما استولى الجيش الفاطمي على طرابلس، وطُرد مندوب الإمبراطور البيزنطي في حلب[١].

وتوفي الظاهر قبل إبراهم الهدنة وخلفه على الحكم ابنه المستنصر بالله الفاطمي ٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٥م)[٢].

واتسمت العلاقة بين الدولتين البيزنطية والفاطمية في أوائل عهد المستنصر بالهدوء، ودارت مناقشات عديدة حول الكثير من الأمور منها إطلاق سراح الأسرى المسلمين، وإعادة بناء كنيسة القيامة في بيت المقدس وأقر كل جانب بمطالب الآخر، وعقدت الهدنة على هذا الأساس بين ميخائيل الرابع والمستنصر بالله الفاطمي[٣] وتم الاتفاق على أن يطلق (ملك الروم) خمسة آلاف أسير ليتمكن من عمارة قمامة (كنيسة القيامة) فأطلق الأسري وعمر قمامة، واطلق عليها مالًا جل وصفه"[٤] وجددت الكنيسة من

(١) العريني، الدولة البيزنطية، ص٧٨٧، ص٧٨٨.

(٢) المستنصر بالله الفاطمي: أبوتميم معد بن الظاهر بويع بالخلافة بعد موت أبيه سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م وكان له من العمل سبع سنين وتوفي عام ٤٨٧هـ/١٠٩٥م وله من العمر ثماني وستين سنة.

للمزيد أنظر: ابن إياس، وقائع الزهور، ص٢١٥-٢٢٠، ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن أبي بكر ت٦٨١هـ/١٢١١م، وفيات الأعيان تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر ١٩٧٧، المجلد الخامس، ص٢٢٩ -٢٣١.

(3) Skylitzes, Asynopsis, P.366,

Ellenblum, R. the collapse of eastern Mediterranean, Cambridge, 2012, P.80

خالد بن محمد مبارك القاسمي، العلاقات الخارجية في العصر الإسلامي – القاهرة، دار الثقافة. ٢٠٠٨م، ص٩٤.

(٤) العظيمي، تاريخ حلب، ص٣٣٢، المقريزي، اتعاظ الحنفا، جـ٢، ص١٨٧.

Oded, P. The Christianity under Islam in Jerusalem, Brill, 2001 P.42.

قبل مهندسين معماريين وحرفيين بيزنطيين وتم الانتهاء من عمارتها قبل وفاة الإمبراطور ميخائيل الرابع[١].

وقد وصـــل رســـول الإمبراطور ميخائيل الرابع إلى القاهرة وقدم للمســـتنصـــر بالله هدايا الإمبراطور البيزنطي وهي هدايا جليلة من جملتها غلمان اتراك متقاربو الأعمار وجوار أتراك، وخلاخل بيضـــاء وطواويس بيض، وغربان بيضـاء، وزرزور أبيض ودباب(دببه) عظام تلعب بالملاهي، وكلاب الحراســة، وأشــياء أخرى مماثلة تمكن للعين رؤيتها إلى جانب ما لم يكن مرئيا داخل الصناديق"[٢].

بالإضــافة إلى الف وســبعمائة زجاجة مختومة بالرصــاص تحتوي على مشـروبات فاخرة خاصــة يسـتخدمها الملك ويحتفظ بها في قبو منزله، وذكر المبعوث أن قيمة كلا منهما في الإمبراطورية البيزنطية كان ســـبعة دنانير[٣]، وذكر بعض الروايات أن تلك الهدايا كانت في عهد الإمبراطور ميخائيل الســادس Michael VI عام ٤٣١-٤٤٥هـ/ ١٠٤٢-١٠٥٣ م[٤]

(1) Hamihon, B. latin and Greek monasticism in the crusader state, 2020, P.23.

(2) Helen, E. the Glory of Byzantium art and culture of the middle Byzantine Era A.D. 843-1261 New York, P.407.

الرشيد: ابن الزبير ت ٥٦٣هـ، كتاب الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، الكويت، ١٩٥٩م. صـ٧٦.

(٣) ابن الزبير، كتاب الذخائر والتحف، ص٧٥، ٧٦.

(4) Maguire, H. Byzantine court culture from 829 to 1204 Washington, 2004, P.121

ميخائيل السادس: ويلقب بمخائيل ستراتيكوس Michael Stratiaticus أوميخائيل المتعسكر حيث كان يتشبه بالجنود دون ان يكون لدية القوة، وقد اختاره مستشارو =

ولكن هذه الرواية لم تتحرى الدقة فالجالس على العرش البيزنطي في التاريخ المذكور كان الإمبراطور قسطنطين التاسع Constantine IX (٤٣١-٤٤٧هـ/١٠٤٢-١٠٥٥م) ولم يعتل الإمبراطور ميخائيل السادس العرش الا بعد وفاة الإمبراطور ثيودورا عام (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) [١] وقد رد الخليفة على

=الامبراطورة ثيودورا كي يخلفها في الحكم وكان طاعنا في السن واجبر على التنازل على العرش عام ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧ م بعد عام واحد من توليه العرش.

See Skylitzes, Asynopsis, P.448, Rosser, Historical, PP. 272-273

آمال زيان، الامبراطور الكسيوس الأول كومنين والحملة الصليبية الأولي في ضوء كتاب الألكسياد، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥، ص٦.

(١) قسطنطين التاسع Constantin IX امبراطور من عام ٤٣١-٤٤٧هـ/ ١٠٤٢-١٠٥٥م كان رجلاً أرستقراطيا مسرفاً في اللهو، وصل إلى الحكم عن طريق زواجه من الامبراطورة زوي Zoe وكان في الأربعين من عمرة ووقع اختيارها عليه لضعفة ولجماله مع شخصيته الجذابة تولى الحكم عام٤٣١هـ/ ١٠٤٢م وحقق العديد من الإصلاحات في المجال الثقافي وتوفي عام م ٤٤٧هـ/١٠٥٥م.

See Leo the Deacon, the History of Leo the Deacon by Zantine military Expansion

In the tenth century in DoR Trans Talbot Washington, 2005, P.223.

Skylitzes, Asynopsis, P.397, Psellus, chronographia pp.162ff.

Brooke, N. A History of Europe from 911 to 1198, 2008, P.139.

Angelov, D. Imperial ideology and politicol thought in Byzantium Imperial Cambridge, 2007, P.128.

ثيودورا: الابنة الثالثة للإمبراطور قسطنطين الثامن تولت الحكم مع اختها زوي وحكمت منفردة عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م.

See Skylitzes, Asynopsis, P.447 Psellus, chronog raphia, PP.156-157.

للمزيد عن الإمبراطورة ثيودورا أنظر إيمان محمود سقيو، الإمبراطورة ثيودورا من خلال كتاب التاريخ الزمني لميخائيل بسللوس، مجلة وقائع تاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد الخامس والعشرون، ٢٠١٦م.

هدية الإمبراطور بهدية مماثلة[١] وقد بلغت من روعتها انها تفوقت على أي شيء قد أرسله اسلافه[٢].

وقد نجح السفير في مهمته وتم إبرام الهدنة لمدة عشر سنوات.

وعلى الرغم من ذلك إلا انه تم نقضـــها بعد خمس ســـنوات من توقيعها "ففي عام اثنتين وثلاثين وأربعمائة (٤٣٢هـ/١٠٤٢م) أغار الروم (البيزنطيون) على بلاد حلب وبلاد أفاميه وكسر عسكر الدزبري المقيم هناك فخرج اليهم عسكر حلب فكسرهم (هزمهم)"[٣] وقد تم تجديد "الهدنه سنة سبع وثلاثيين وأربعمائة"(٤٣٧هـ/١٠٤٥م)[٤] بعد ما يقرب من أربعه أعوام من انتقاضها في عهد الإمبراطور قنسطنطين التاسع[٥].

"فلما كان ثامن ذي الحجة (عام ٤٣٧هـ/١٠٤٥م) وردت هدية من ملك الروم من القسـطنطينية إلى القاهرة، وقيمتها ثلاثون قنطاراً من الذهب، وكان من جملتها بغال وحصـان من أحسن الدواب وأغلاها قيمة، كلا منهما عليه ثوب ديباج رومي منقوش وخمسون بغلاً عليها مائه صـندوق مصـفحة

(١) القاسمي، العلاقات الخارجية، ص٩٤.

(2) Cheikh, N. Byzantium viewed By Arabs Harvard, 2004, P.157.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص١٨٨.

الدزبري: مات يوم الاحد النصف من جمادي الاولي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة (٤٣٣هـ) ودفن بحلب ثم نقل منها إلى بيت المقدس في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة(٤٤٨هـ).

ابن العديم، كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله تـ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م، زبدة الحلب من تاريخ حلب، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٦م/ صـ ١٤٦.

(٤) العظيمي، تاريخ حلب، ص٣٣٧.

(5) Hendy, m. studies in the Byzantine monetary Economy 300-1450, Cambridge, 2008, P.269.

بالفضة"[١].

"وكانت الصـــناديق تحتوى على الف قطعة من أنواع مختلفة من الديباج، وثلاثمائة قطعة من الديباج الرقيق، واحزمه رومي حمرا محاطه بالذهب[٢] واحتوت الصـناديق أيضـاً على "آنية الذهب والفضـة، منها مائة قطعة بميناء، وفيها من الديباج والســندس والعمائم المعلمة ما لا يقدر على مثله"[٣] ومائتان من الأزياء الإمبراطورية والحلي الذهبية والفضية"[٤].

وهذه الهدية لم يسبق أحد من ملوك الروم بمهاداة مثلها إلى من تقدم من خلفاء الإسلام وذلك لسعة نفسه وكبير مرؤته"[٥].

"ويقود الجميع مايتا (مائتان) رجل ممن كان في الحبوس من أسري المسلمين[٦].

كما طلب من كاتبه ميخائيل بســللوس (٤٠٩-٤٦٩م/١٠١٨-١٠٧٨م) الذي تولي كتابة الرسائل للدولة الفاطمية ان يكتب إلى المستنصر بالله الفاطمي رساله تفيض بالمودة، وتظهر الخليفة المسلم في صورة لا تقل عن الإمبراطور البيزنطي مكانه، بل لا مانع عنده من أن تعلوها حفاظاً على مصـالح بيزنطة السـياسـية والاقتصـادية مع مصـر[٧]. وقد رد المسـتنصـر

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص١٩٤.

(2) Maguire, Byzantine, Court, P.121.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص١٩٤.

(4) Grabar, O. Islamic Visual culture 1100-1800, vol 2 2006, P.57.

(٥) ابن الزبير، كتاب الذخائر، ص٧٤.

(٦) ابن الزبير، كتاب الذخائر، ص٧٥.

(٧) رأفت عبدالحميد، قواعد الدبلوماسية، ص٤٥.

=

الفاطمي على هديته بهديه مماثله "فأرســـل من حق مصـــر ومن الجوهر والمسك والعود والطراز وغير ذلك مما هو أكثر قيمة مما بعثه"(١).

وهذا يدل على ان تبادل الهدايا جزء من نظام العلاقات المتبادلة المتبع للحفاظ على العلاقات الدبلوماســـية بين الدول(٢)، وقد نجحت هذه السفارة في تحقيق أهدافها.

والســـبب في هذا التقارب وتبادل الهدايا هو الزحف التركماني الســـلجوقي القادم من المشـــرق الإســـلامي الذي كان يهدد البيزنطيين والفاطميين على الســـواء وهو أمر له أثره في مســـار الأحداث التالية حيث

=ميخائيل بسللوس: ولد عام ٤٠٩هـ/ ١٠١٨م كان اجداده سفراء او قناصل، تلقي دراسته الأولي في الدير، كان يتمتع بقدرات خاصة على استيعاب المعلومات الغزيرة، شغل العديد من الوظائف وفي عام (٣٤٧هـ/١٠٤٥م) في عهد الإمبراطور قنسطنطين التاسع وكان بسللوس هو المكلف بكتابة الرسائل الهامة إلى الدولة الفاطمية في عهد الإمبراطور قسطنطين التاسع لثقته فيه.

See pselluse, Chronographia, P.14.

رأفت عبدالحميد، ميخائيل بسللوس من خلال كتابه التاريخ الزمني، مجله كليه الآداب، اليمن، العدد الثاني ١٩٧٩م، ص٢١٥؛ للمزيد عن ميخائيل بسللوس أنظر آمال زيان، الدور السياسي للمؤرخ ميخائيل بسللوس بالدولة البيزنطية، القاهرة، ٢٠١٢م، إيمان محمود سقيو، الحياة الثقافية والعلمية في الدولة البيزنطية (٨٦٧-١٠٥٦م)، القاهرة، دار الأفاق العربية، ٢٠١٣م ص٣١-٣٥.

(١) العظيمي، تاريخ حلب، ص٣٣٧، المقريزي، اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص١٩٤.

السبب في زيادة قيمة هدية الخليفة الفاطمي على هدية الإمبراطور البيزنطي: ما جرت به العادة انه "إذا وردت هدية من الروم تقييم، ويحمل اليهم هدية موضعها بثلثي قيمتها ليكون للإسلام ميزة عليهم بالثلث " المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٢٨.

(2) James, D. Tewelry, 2018, P.103.

سعي كلاً منهما إلى تمكيين موقفه بما يحقق له القدرة على ردع ذلك الخطر التركماني(١).

وعلل ميخائيل بسللوس ذلك "بأن قنسطنطين التاسع كان مثل الرجل الذي حارب الأمواج في عاصفة كبيره ووصل إلى الشاطئ حيث كان كل شيء هادئ، ولم يكن لديه نية للإبحار مرة ثانية".

وبعبارة أخرى أراد أن يحكم بدون ان يخوض أي حروب تماماً مثل معظم الأباطرة الذين سبقوه"(٢)، كما استقبل الخليفة بعد ذلك رسولاً بيزنطياً عام (٤٤٠هـ/١٠٤٨م) قدم بالمصالحة بين الخليفة وبين بني مرداس في حلب، وهو دور قلما يقوم به البيزنطيين بين القوي الإسلامية المتصارعة، وقد دفعهم إلى ذلك تحالف بني مرداس معهم في السابق(٣).

واستمرت الهدنة بين البيزنطيين والفاطميين ولم يوافق الإمبراطور قنسطنطين التاسع على نقضها عندما عرض عليه رسول طغر لبك(٤٢٩-٤٥٥هـ/١٠٣٧-١٠٦٣م) ذلك ففي عام (٤٤٤هـ/١٠٥٢م) أرسل طغر لبك رسولاً إلى بيزنطة "فتلقاه الملك وسأله عن السلطان طغر لبك، فذكر له

(١) سامي مرعي، الصراع الفاطمي البيزنطي، ص٢٢٤.

(2) psellus, Chronographia, P.190.

(٣) الرحيلي، السفارات، ص١٩٨.

بنو مرداس: تنسب إلى أسد الدولة أبوعلى صالح بن مرداس استولي على حلب وانتزعها من مرتضي الدولة غلام أبي الفضائل بن سعد الدولة بن حمدان نيابة عن لخليفة الفاطمي الظاهر فجهز الظاهر جيشا بقيادة أنوشتكين الدزبري، فتمكن من هزيمته وقتله. ابن العديم، زبدة الحلب ط١٩٩٦، ص١٢٩ وما بعدها، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ح٢، ص٤٠١.

الرسالة، وطلب منه مقاطعة صاحب مصر "[١].

فرفض الإمبراطور قنسطنطين ذلك قائلاً: "إن صاحب مصر مجاور لنا وبيننا وبينه عهود وهدنه، وقد بقي منهما سنتان، ولا يمكن فسخها"[٢].

وقد استغل المستنصر فرصه صفاء العلاقات بينه وبين الدولة البيزنطية للعمل على إنعاش الحالة الاقتصادية في دولته، فأرسل إلى الإمبراطور قنسطنطين التاسع بطلب مساعدته بسبب ما حل بالبلاد من مجاعة "فقد عم الوباء والقحط بغداد والشام ومصر، وكان الناس يأكلون الميتة، وانقطع ماء النيل بمصر وكان يموت بها في كل يوم عشرة آلاف إنسان"[٣].

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص٢٢٣، ٢٢٤.

طغر لبك: محمد بن ميخائيل بن سلجوق ركن الدولة أبوشجاع من السلاجقة الذين حكموا بلاد فارس، استهل حكمه في شوال سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م كان كريما حليما توفي بالري ٤٥٥هـ/١٠٦٣م وله من العمر سبعون عاما، ودفن بمرو.

أنظر ابن العديم، زبدة الحلب، ص١٥٥_١٥٦ حاشية (٥)، ابن خلكان وفيات الاعيان، ج٤، ص٣١٢.

(٢) المقريزي، اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص٢٢٣، ٢٢٤.

(٣) ابن الأثير، أبي الحسن على بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م، الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، حـ٨، ص٢٧٩، ابن تغري بردي، جمال الدين أبوالمحاسن ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٩٦٣م، ج٥، ص٥٩.

الشدة المستنصرية: في سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م "قصر مد النيل، ونزع السعر، ووقع الوباء، ولم يكن في المخازن السلطانية الا ما ينصرف في جرايات من في القصر ومطبخ الخليفة واشتد الأمر على الناس. أنظر المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢ ص٢٢٦.

"واستمر القحط سبع سنين مثل سني يوسف الصديق – عليه السلام –، أقامت البلاد سبع سنيين يطلع النيل وينزل ولا يوجد من يزرع الأرض لموت الناس واختلاف الولاة والرعية، فأستولى الخراب على كل البلاد ومات أهلها"(١).

ولذا وتحسبًا لاحتمال استمرار نقصان النيل طلب الخليفة الفاطمي من الإمبراطور البيزنطي إمداد مصر بالقمح لمواجهة المجاعة(٢).

وقد وافق الإمبراطور قنسطنطين التاسع على أمداد الخليفة الفاطمي بذلك "فأطلق له اربعمائة الف أردب"(٣). لكن الصفقة لم تتم بسبب وفاة الإمبراطور البيزنطي قنسطنطين التاسع عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م(٤).

واعتلت العرش الإمبراطورة ثيودورا (٤٤٧-٤٤٨هـ/١٠٥٥-١٠٥٦م) فاشترطت على الخليفة المستنصر شرطاً قاسياً مقابل مده بلاد بالقمح(٥) "فراسلت المستنصر بالله في نصرتها إن قام عليها أحد"(٦) وتقصد بذلك ان يقف الخليفة الفاطمي بجانب الدولة البيزنطية إذا ما تم الهجوم عليها من قبل اعدائها فرفض المستنصر هذا الشرط فامتنعت عن مده

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، حـ٥، ص٣.

(٢) ساويرس ابن المقفع ت٩٨٧ م، تاريخ مصر من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة لساويرس ابن المقفع، تحقيق عبدالعزيز جمال الدين القاهرة، ٢٠٠٦م، حـ٣، ص٩٩٧.

(٣) ابن ميسر، تاج الدين محمد على بن يوسف تـ ٦٧٧هـ/١٢٧٨م، المنتقي من اخبار مصر، تحقيق ايمن فؤاد السيد، القاهرة، المعهد الفرنسي، ١٩٨١م، ص١٣.

(٤) ابن المقفع، تاريخ مصر، حـ٣، ص٩٩٧.

(٥) العظيمي، تاريخ حلب، ص٣٤١، الرحيلي، السفارات، ص١٩٨، عبدالمنعم ماجد، الإمام المستنصر بالله الفاطمي، القاهرة ١٩٩٦م، صـ ٧٦.

(٦) ابن ميسر، المنتقي من اخبار مصر، ص١٣.

بالقمح مما أدى إلى توتر العلاقات بين الدولتين[١].

وهذا يحسب للدولة الفاطمية التي رفضت ان تتحالف مع الدولة البيزنطية ضد أعداء الدولة من المسلمين بل دائما وابداً كانت تعتبر الدولة البيزنطية هي العدو الحقيقي للإسلام[٢].

وبسبب امتناع الإمبراطورة عن مد المستنصر الفاطمي بالغلال "قام بتجهيز عسكراً قدم عليه مكين الدولة (الحسن بن على بن ملهم) لقصد اللاذقية، فخرج في عساكر جمه وحاصرها بسبب نقض الهدنه ومسك الغلال"[٣] وقد أوغل ابن ملهم في بلاد الروم وقارب أفامية وجال في اعمال انطاكيه، ونهب وسبي[٤] فوصل هذا إلى الإمبراطورة ثيودورا" فسيرت ثمانين

(1) Schenk, G. Historical disaster Experiences Germany,2017, P.78. Yaacovlev, state and society in Fatimid Egypt New York, 1991, P.163.

(٢) فيصل عبدالنبي العامري، السياسة الخارجية للدولة الفاطمية ٣٥٨ – ٤٢٧هـ/ ٩٦٨ – ١٠٣٥م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعه الكوفة، ٢٠٠٧م، ص١٤٦.

(٣) العظيمي، تاريخ حلب، ص٣٤٢، ابن ميسر، المنتقي من اخبار مصر، ص١٣، ابن المقفع، تاريخ مصر، حـ٣، مح ٢، ص٩٩٧، القاسمي، العلاقات الخارجية، ص٩٥. الحسن بن على بن ملهم: أبوعلي الأمير مكين الدولة وأمينها أحد الأمراء في خلافة المستنصر بالله الفاطمي، أقام بحلب وعدل في الرعية وأحسن السيرة. أنظر بن العديم، زبدة الحلب، ط١٩٩٦، ص١٥٥، المقريزي، تقي الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م، تاريخ المقريزي الكبير المسمى المقفى الكبير، تحقيق محمد عثمان، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٣، ص٢٠٣.

(٤) ابن ميسر، المنتقي من اخبار مصر، ص١٣، المقريزي، اتعاظ الحنفا، جـ٢، ص٢٢٩.

قطعة من البحر فكانت بينها وبين بن ملهم حروب كثيرة"[١].

والحقيقة ان نتيجة الحروب لم تكن لصالح الفاطميين فقد "أسر بن ملهم وجماعه من اعيان العرب"[٢] وبذلك "انقضت الهدنة بين مصر والقسطنطينية"[٣] وقد حاول المستنصر إصلاح ما أفسده بإدارته فبعث سفيراً إلى القسطنطينية لإصلاح الأمور فأرسل أبوعبدالله القضاعي (٤٤٧هـ/١٠٥٥م)[٤] الذي وجد بها رسول طغر لبك برسالة منه للإمبراطورة "يلتمس منها ان يصلي رسوله في جامع القسطنطينية"[٥] "فأذنت الإمبراطورة

---

(١) ابن ميسر، المنتقي من اخبار مصر، ص١٣، المقريزي اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص٢٢٩.

(٢) ابن ميسر، المنتقي من اخبار مصر، ص١٣، المقريزي اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص٢٢٩.
والسبب في هزيمة الفاطميين ان التركمان تجمعوا وأفسدوا اعمال الشام، فاضطر المستنصر لمواجهتهم مما جعله يحارب في أكثر من اتجاه وهذا من سوء الإدارة، تيسير محمد شادي، إدارة الأزمات في العالم الإسلامي الإسكندرية، دار التعليم الجماعي، ٢٠٢٠م، ص١٩١، ايناس البهيجي، تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٧م، ص٨١.

(٣) ابن ميسر، المنتقي، ص١٣، المقريزي، اتعاظ الحنفا حـ٢، ص٢٢٩.

(٤) أبوعبدالله القضاعي: هو أبوعبدالله محمد بن سلامه تـ ٤٥٤هـ/١٠٦٢م قاضي مصر ومصنف كتاب الشهاب نشأ في بيئة علمية، فأحب العلم وكلف به، فوالده سلامه بن جعفر كان عالماً شغوفاً بالعلم رحل في طلب العلم ووصل إلى الحجاز والشام والقسطنطينية كان حسن الخلق محمود السيرة يتعهد المساكين ببره وصدقاته وقد توفي سنة ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م
أنظر القضاعي، أبوعبدالله محمد بن سلامه تـ٤٥٤هـ مسند الشهاب، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي بيروت، ١٩٨٥م، ص٧، ص١٠

(٥) المقريزي، اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص٢٣٠.ورسول طغر لبك هو الأمير قطب الدولة والشريف ناجية بن إسماعيل الحسني. أنظر ابن الزبير، كتاب الذخائر، ص٧٩، ٨٠.
=

له في ذلك، فدخل اليه وصلي به وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسي"[١].

وهذا يعني ضياع سيادة الدولة الفاطمية على المسجد، وانفصام عري التحالف السابق والسبب وراء هذا التوجه من الإمبراطورة ثيودورا ومحالفتها للسلاجقة هو درء خطرهم المتصاعد[٢] فالإمبراطورية البيزنطية ذاتها لم تتعرض لغارات خطيرة من قبل السلاجقة إلا منذ زمن قنسطنطين التاسع فمنذ عهد الإمبراطورة ثيودورا بدأ خطرهم يزداد، وبدأ التهديد الفعلي الذي انتهي باستيلاء السلاجقة على الجانب الأكبر من آسيا الصغرى[٣] ولكن هذا التوجه من قبل الإمبراطورة ثيودورا أدى إلى فساد العلاقة بينها وبين الفاطميين "فأنكر رسول المستنصر بالله (أبو عبدالله القضاعي) ذلك"[٤] وبعث بذلك إلى المستنصر

=عن هدية طغر لبك للإمبراطورة ثيودورا أنظر ملحق رقم (٣).

(١) ابن خير الأشبيلي، أبوبكر محمد بن خير الأموي ت٥٧٥هـ/١١٧٨م، فهرست بن خير الأشبيلي، تحقيق محمد فؤاد منصور، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، ص١٥٤ حاشية (٣)، ابن ميسر، المنتقي من اخبار مصر، ص١٣، المقريزي، اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص٢٣٠، المقريزي، أحمد بن على ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد زينهم، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١١ حاشية (٣).

القائم بأمر الله: أبوجعفر عبدالله بن القادر بالله جلس في الخلافة بعد وفاة ابيه القادر بالله وقد بايع ابنه بولاية العهد سنة احدي عشرين واربعمائة وجددت له البيعة بعد وفاة القادر بالله واستقرت له الخلافة سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م.

أنظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، حـ٨، ص١٩٩.

(2) Finlay, G. History of the Byzantine and Greek Empires, London, 1854 p. 16.

(٣) العريني، الدولة البيزنطية، ص٨٤٧. فقصد طغر لبك بغداد ودخل أذربيجان وفتح تبريز ونهبها وآمن صاحبها وردها عليه أنظر العظيمي، تاريخ حلب، ص٣٤٢.

(٤) العظيمي، تاريخ حلب، ص٣٤٣.

بالله"، فأحاط بما في قمامة (كنسية القيامة)، وأخذه واخرج البطرك منها إلى دار مفردة (منفرداً)، واغلق أبواب كنائس مصـــر والشـــام"[١] وزعم بعض المؤرخين الغربيين انه منع الحجاج من الوصول إلى كنسية القديس سنولشر Senulchre بالإضافة إلى تعرضه لمسيحي بيت المقدس[٢] وطالب المستنصر بالله "الرهبان بالجزية لأربع ســنين وزاد على النصــارى في الجزية"[٣] وبذلك فشــلت ســفارة أبوعبدالله القضــاعي "الذي أقام مدة في القسـطنطينية"[٤] وعاد بعدها إلى القاهرة دون تحقيق مهمته.

ولا غرابه في ذلك التوجه من الإمبراطورة فقد كان الســلاجقة بقوتهم الناشـــئة وســـرعة ظهورهم بالقرب من البيزنطيين أشـــد خطراً عليهم من الفاطميين[٥] وقد أسهمت تلك الظروف مجتمعه في توقف الاتصال السياسي بين الدولتين البيزنطية والفاطمية أكثر من أربعين عاماً تاليه، حيث نجد إشارة إلى مكاتبه ليست بذات أهمية تمت بينهما خلال تلك الفترة بشأن طلب المســتنصــر بالله الفاطمي بعض الأعمدة الخشــبية الطويلة من البيزنطيين للحاجة اليها في بناء فسطاط كبير فأرسلت له الإمبراطورة ذلك[٦].

---

(١) العظيمي، تاريخ حلب، ص٣٤٣، المقريزي، اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص٢٣٠.

(2) louis, B. the life and Death of Byzantium North Holland, 1977, P.184.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص٢٣٠.

(٤) القضاعي، مسند الشهاب، ص٨.

وأثناء إقامته في القسطنطينية اخذ عن بعض علمائها. أنظر القضاعي، مسند الشهاب، ص٨.

(٥) الرحيلي، السفارات، ص٢٠٠.

(٦) الرحيلي، السفارات، ص٢٠٠.

وقد توفت الإمبراطورة ثيودورا عام (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) وبوفاتها انتهت الأسرة المقدونية القوية التي كانت تتربع على عرش البيزنطي، وبدأت مرحله من الصراع على العرش(١).

ونستنتج مما ذكر مدي القوة التي وصل لها الاتراك السلاجقة؛ الأمر الذي جعل الخلفاء العباسيين يرون في هذه القوة منقذاً لهم من سيطرة البويهيين المتسلطين على بغداد، والخليفة، وقوة تساعدهم على بقائهم أمام الأطماع الفاطمية في الشام ومصر.

وجرت اتصالات بين العباسيين وطغر لبك اسفرت عن دخوله بغداد عام (٤٤٧هـ/١٠٥٥م)(٢)، وهذا يفسر لنا سبب خطبة رسول طغر لبك للخليفة العباسي في جامع القسطنطينية.

وبسبب هذا التحالف بث المستنصر دعاته سراً إلى الآفاق يدعون إليه ويستميلون من تصل القدرة إلى استمالته، واستجاب لهم الكثير من الناس(٣).

"وقد ظلت الأمور معلقة بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية فلا هي حرب معلنه ولا هي سلم واضح"(٤) حتى وفاه المستنصر بالله الفاطمي "الذي توفي ليله الخميس الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين

(١) الرحيلي، السفارات، ص١٩٩، العريني، الدولة البيزنطية، ص٧٧١.

(٢) خالد القاسمي، العلاقات الخارجية، ص٩٦.

للمزيد عن العلاقة بين العباسيين والسلاجقة.

See Alicia, w. the Emperor and the world Cambridge, 2012.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢.

(٤) سامي مرعي، الصراع الفاطمي – البيزنطي على ساحل بلاد الشام، ص٢٢٤.

وأربعمائة وكانت خلافته ستين سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام"[١] "ولم يتفق هذا الخليفة قبله ولا بعده"[٢] وعمرة سبعاً وستين سنة"[٣].

(١) العظيمي، تاريخ حلب، ص٣٥٧، ابن ميسر، المنتقي، ص١٤، المقريزي، اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص٣٣٢.

(٢) ابن كثير، أبوالفداء الحافظ بن كثير الدمشقي تـ ٧٧٤هـ/١٣٣٧م، البداية والنهاية، بيروت – لبنان، ١٩٩١م، حـ١٢، ص٣١، صـ٣٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل، حـ٨، ص٤٩٧.

الخاتمــة

ونستخلص مما سبق مجموعة من النتائج هي:

- إن اختيار السفراء كان يتم بعناية فائقة.
- استخدم البيزنطيون تحالفهم مع الفاطميين أحياناً كورقة رابحة للضغط على اعدائهم من الولاة المسلمين.
- رفض الخليفة الفاطمي المستنصر بالله التحالف مع الإمبراطورة ثيودورا ضد اعداءها السلاجقة ابلغ رد على البيزنطيين بأنه لا حلف مع الدولة البيزنطية ضد إخوانهم من المسلمين.
- أرسل الخلفاء في بعض الأحيان فقهاء سنيون إلى بيزنطة كي لا تتصف دولتهم بالمذهبية ولكي يثبتوا ان ما تستند عليه الخلافة العباسية أنها الممثلة للمذهب السني غير صحيح.
- تعاقب كثير من الأباطرة البيزنطيين بعد وفاة الإمبراطور باسل الثاني على العرش البيزنطي يدل على عدم الاستقرار في الدولة البيزنطية، وهذا ما دفعهم إلى المهادنة مع القوى العربية سواء الدولة العباسية او الدولة الفاطمية أو السلاجقة.
- استخدم كلاً من الفاطميين والبيزنطيين أدوات القوة التي يمتلكونها لضغط كل منهما على الآخر، وانتزاع أفضل الشروط عند توقيع الهدن والمعاهدات.
- معظم السفارات المتبادلة بين الطرفين كانت تأتي من القسطنطينية إلى القاهرة ولم تذهب سفارة من القاهرة إلى القسطنطينية الا عام

٣٩١هـ/١٠٠٠م في عهد الحاكم بأمر الله الفا طمي، وفي عهد خلفاءه لم تذهب السفارات إلى القسطنطينية الا مرات معدودة وذلك يدل على مدي القوة التي تمتعت بها الدولة الفاطمية.

- أدى ظهور الأتراك السلاجقة كقوة عسكرية (٤٣٥هـ/١٠٤٣م) إلى انصراف الدولة البيزنطية عن الفاطميين ومهادنتهم للسلاجقة.
- السفارة السلجوقية كانت سبباً مباشراً لتوتر العلاقات بين الدولتين البيزنطية والفاطمية وانقطاع الاتصال الدبلوماسي بينهما.

ملحق رقم (١)

أولاً: قائمة بأسماء الاباطرة البيزنطيين

في فترة البحث[١]

رومانوس الثالث	٤١٩ – ٤٢٥هـ/١٠٢٨–١٠٣٤م
ميخائيل الرابع	٤٢٥ – ٤٣٢هـ/١٠٣٤–١٠٤١م
قنسطنطين التاسع	٤٣٢ – ٤٣٣هـ/١٠٤١–١٠٤٢م
ثيودورا	٤٤٧ – ٤٤٨هـ/١٠٥٥–١٠٥٦م
ميخائيل السادس	٤٤٨ – ٤٤٩هـ/١٠٥٦–١٠٥٧م

ثانياً: الخلفاء الفاطميين فترة البحث[٢]

الحاكم بأمر الله	٣٨٦ – ٤١١هـ/ ٩٩٦ – ١٠٢٠م
الظاهر لإعزاز دين الله	٤١١ – ٤٢٧هـ/ ١٠٢٠ – ١٠٣٥م
المستنصر بالله	٤٢٧ – ٤٨٧هـ/ ١٠٣٥ – ١٠٩٥م

(1) See Sktlitzes. A synopsis of Byzantine History pp. 354 ff.

(٢) أنظر المقريزي، اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص٣ وما بعدها.

ملحق رقم (٢)

القيود التي فرضها الحاكم بأمر الله

على أهل الذمة[١]

"أمر النصارى إلا الجبابرة بلبس العمائم السود والطيالسة السود، وان يعلق النصارى في أعناقهم صلبان الخشب، يكون ركب مروجهم من خشب، ولا يركب احداً منهم خيلاً، وأنهم يركبون البغال، والحمير والا يركبوا السروج واللجم محلاه، وأن تكون سروجهم، ولجمهم بسيور سود وأنهم يشدون الزنانير على أوساطهم، ولا يستعملون مسلماً، ولا يشترون عبداً ولا أمه، وأذن للناس في البحث عنهم وتتبع آثارهم في ذلك، ولا يدخلوا مع المسلمين حماما، وجعل لهم حمامات على حده ولم يبق في ولايته ديرا ولا كنيسة إلا هدمها فأسلم عدة من النصارى الكتاب وغيرهم".

(١) أنظر المقريزي، اتعاظ الحنفا، حـ٢، ص٩٢، ٩٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٧٧، ١٩٦.

ملحق رقم (٣)

هدية طغر لبك إلى الإمبراطورة ثيودورا[١]

"وحمل طغر لبك إلى ملك الروم صـــحبه الأمير قطب الدولة رسوله.. صدوره لؤلؤ فيها خاتم سليمان في صدرها ياقوت أحمر. الوزن خمسة وأربعون مثقالاً، وأيضاً مئة قطعة اتوار فضة بشمع موكبي كبار، ومئة وخمسين صحناً صينياً مشمشيا. ومئة ملا ممزج (كذا) ومائتي ثوب سقلاطون، ومائتين عتابي وعشر طبلات كافور وعود. قوّم بألفين وأربع مئة دينار. ونقد خمسين ألف دينار"

المختصرات المستخدمة في البحث

العنـــــوان	المختصر
Dumbarton oaks Research Washington, 2005	DOR
Dumbarton oaks Texts	DOT

(١) أنظر ابن الزبير، كتاب الذخائر، ص٧٩ – صـ ٨٠

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية: -

- Constantini VII, De Thematibus trans Pettusi Biblioteca, Vaticana, 1952
- Genesios, on the Reigns of the Emperor trans Kaldelis, Canberra 1988
- Leo the Deacon, the History of Leo the Deacon Byzantine military Expansion in the tenth century in DOR, trans Talbot, Washington, 2005
- Leo VI, the Taktika of Leo VI trans Deenis in DOT, 1997
- Pesllus, m. fourteen Byzantine Rulers the Chronographia of Michael psellus, trans sewter, penguin books 1966
- Skylitzes, T. Asynopsis of Byzantine History 811 – 1057 trans Wortley, Cambridge 2010.

ثانياً: المصادر العربية والمعربة:

- ابن الأثير، أبي الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، بيروت، دار الكتب العلمية/ ١٩٨٧م.
- الأنطاكي، يحي بن سعيد بن يحي ت ٤٨٥/١٠٦٧م، تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة أوتيخا، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، طرابلس، لبنان –جرس برس، ١٩٩٠م.

- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٨٤م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٩٦٣م، نسخة مصورة عن طبعة دارا لكتب المصرية.
- ابن الجوزي، أبي الفرج عبدالرحمن بن على، ت٥٩٧هـ/١٢٠١م المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق عبدالقادر عطا، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.
- ابن خلكان، أبوالعباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر ت٦٧١هـ/١٢٨٢م، وفيات الأعيان وانباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٧م.
- ابن خير الأشبيلي، أبوبكر محمد بن خير الأموي ت ٥٧٥هـ/١١٧٨م، فهرست بن خير الأشبيلي، تحقيق محمد فؤاد منصور، بيروت–لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.
- ابن الزبير، الرشيد أبي الحسن أحمد ابن القاضي، ت٥٦٣هـ، كتاب الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله الكويت ١٩٥٩م.
- ابن العديم، كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله، ت٦٦٠هـ/ ١٢٦١م زبدة الحلب من تاريخ حلب، بيروت دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.
- العظيمي، محمد بن على الحلبي ت٥٥٦هـ/١١٦١م، تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعرور، دمشق، ١٩٨٤م.

- ابن العماد، شهاب الدين أبي القلاح عبدالحي الدمشقي ت٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، دمشق – بيروت، دار ابن كثير، ١٩٨٩م.
- القضاعي، أبوعبدالله محمد بن سلامه ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م، مسند الشهاب، تحقيق حمدي عبدالحميد السلفي، بيروت، ١٩٨٥م.
- القلقشندي، أبوالعباس شهاب الدين بن على الشافعي ت٨٢١هـ/١٤١٨م، صبح الأعشى في معرفة الأنشا، تحقيق محمد عبدالرسول، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٢م.
- قنسطنطين السابع، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة محمود سعيد عمران، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٠م.
- ابن كثير، أبوالفداء الحافظ بن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ/١٣٣٧م، البداية والنهاية، بيروت لبنان، ١٩٩١م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن على ت٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٩٦م.
- ـــــ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد زينهم، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ـــــ، تاريخ المقريزي الكبير المسمى المقفى الكبير، تحقيق محمد عثمان، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م.

- ابن المقفع، ساويرس أبوالبشر بن المقفع ت٩٨٧م، تاريخ مصر من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع، تحقيق عبدالعزيز جمال الدين، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ابن ميسر، تاج الدين محمد على يوسف ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م، المنتقي من أخبار مصر، تحقيق ايمن فؤاد السيد، القاهرة، الفرنسي، ١٩٨١م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- Alicia, w. the Emperor and the world Cambridge, 2012.
- Angelov, A. Imperial ideology and political thought in Byzantium Imperial, Cambridge, 2007.
- Ann, R. Christians in Al-Andualus 711- 1000, London, 2013.
- Brooke, N. A History of Europe from 911 to 1198, 2008.
- Cheikh, N. Byzantium viewed By Arabs, Harvard, 2004.
- Ellenblum, R. the collapse of eastern Mediterranean, Cambridge, 2012.
- Farhad, D. The Ismailis their History and Doctrines, Cambridge, 1992.
- Finlay, G. History of the Byzantine and Greek Empires, London, 1854.
- Grabar, O. Islamic visual culture 1100 – 1800, vol 2, 2006.
- Hamihon, B. Latin and Greek monasticism in the crusader state 2020.

- Helen, E. the Glory of Byzantium art and culture of the middle Byzantine Era AD. 843 – 1261, New York, 1997.
- Hendy, m. studies in the Byzantine monetary Economy 300 – 1450, Cambridge, 2008.
- James, D. Tewelry, 2018.
- Louis, B.The life and death of Byzantium, North Holland, 1977.
- Maguire, H. Byzantine court culture from 829 to 1204, washington, 2004.
- Nicolas, D. Arabic – speaking Ambassadors Byzantine Empire from the ninth to Eleventh centuries in Ambassadors, Artists, Theologians Byzantine relations with the near east from the ninth to the near east from the ninth to the thirteen centuries, main 2, 2019.
- Oded, p. the Christianity under Islam in Jerusalem, Brill, 2001.
- Rosser, Historical Dictionary of Byzantium, virgil Geogics.
- Schenk, G. Historical disaster Experiences, Germany, 2017.
- Treagold, A History of the Byzantine state and society, Standford, California 1997.
- Yaacovlev, state and society in Fatimid Egypt, New York, 1991.

رابعاً: المراجع العربية والمعربة: -

- أسمت غنيم، الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، جدة، دار المجمع العلمي ١٩٧٧م.
- السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٦٥م.
- آمال زيان، الدور السياسي للمؤرخ ميخائيل بسللوس بالدولة البيزنطية ١٤٠١-١٠٧٨، القاهرة، ٢٠١٢م.
- إيمان محمود سقيو، الحياة الثقافية والعلمية في الدولة البيزنطية ٨٦٧-١٠٥٦م، القاهرة، دار الآفاق العربية، ٢٠١٣م.
- إيناس البهيجي، تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٧م.
- تيسير محمد شادي، إدارة الأزمات في العالم الإسلامي، الإسكندرية، دار التعليم الجامعي، ٢٠٢٠م.
- جمال سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٥م.
- جوزيف نسيم، تاريخ الدولة البيزنطية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م.
- حنانيا الياس كساب، مجموعة الشرع الكنسية أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة، لبنان، منشورات النور، ١٩٩٨م.
- خالد بن محمد مبارك القاسمي، العلاقات الخارجية في العصر الإسلامي، القاهرة، دار الثقافة ٢٠٠٨م.

- دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ترجمه حسن حبشي، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- سليمان الرحيلي، السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية، الرياض، ١٤١٤هـ.
- صابر دياب، المسلمون وجهادهم ضد الروم، القاهرة، ١٩٨٤م.
- عبد المنعم ماجد، الإمام المستنصر بالله الفاطمي، القاهرة، ١٩٩٦م.
- محمد سهيل طقوش، تاريخ الطولونيون والإخشيديين والحمدانيين، بيروت – لبنان، دار النفائس، ٢٠٠٨م.

خامساً: الدوريات العلمية والرسائل الجامعية:

- إبراهيم أحمد العدوي، السفراء العرب إلى أوروبا في العصور الوسطي، مجلة المجلة العدد الثاني والثلاثون، ١٩٥٩م، من ص٣٢ إلى ص٣٨.
- آمال زيان، سفارة الإمبراطور البيزنطي باسل الثاني إلى الخليفة الفاطمي العزيز بالله عام ٣٧٧هـ/٩٨٨م، مجلة هرميس، جامعة القاهرة، ٢٠١٧م.
- ------، الإمبراطور الكسيوس الأول كمونيين والحملة الصليبية الأولي في ضوء كتاب الألكسياد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥م.
- إيمان محمود سقيو، الإمبراطورة ثيودورا من خلال كتاب التاريخ الزمني لميخائيل بسللوس، مجلة وقائع تاريخية مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد الخامس والعشرون، ٢٠١٦م.

- رأفت عبدالحميد، قواعد الدبلوماسية البيزنطية المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثالث والثلاثون، ١٩٨٦م.
- ------ميخائيل بسللوس من خلال كتابه التاريخ الزمني، مجلة كلية الآداب، اليمن العدد الثاني، ١٩٧٩م.
- زكية عبدالسلام الراجحي، العلاقات الثقافية بين الدولتين البيزنطية والفاطمية خلال الفترة ٣٠٥-٤٤٨هـ/٩١٧-١٠٥٦م، منشورات قار يونس، ٢٠٠٨م.
- سامي مرعي، الصراع الفاطمي – البيزنطي على الساحل بلاد الشام في القرنيين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين ٣٥٨ – ٤٤٧هـ/ ٩٦٩ – ١٠٥٥م، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد الأربعون، العدد السادس، ٢٠١٨م.
- فيصل عبدالنبي العامري، السياسة الخارجية للدولة الفاطمية ٣٥٨ – ٤٢٧هـ/ ٩٦٨ – ١٠٣٥م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الكوفة، ٢٠٠٧م.
- محمد سالم الطراونة وسحر عبدالمجيد المجالي، أحوال اهل الذمة في مصر في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله ٤١١ – ٤٢٧هـ/ ١٠٢٠ – ١٠٣٦م، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد السادس والثلاثون ملحق ٢٠٠٩م.